حُبُّ الدُّنْيَا
أَصْلُ الذُّلِّ وَالخُسْرَانِ وَالْهَوَانِ

أبو زيد العتيبي –عفا الله عنه–.

ومعه

شَيَاطِينُ الخَرَابِ وَالمُؤَامَرَةُ

حُبُّ الدُّنْيَا

أَصْلُ الذُّلِّ وَالْخُسْرَانِ وَالْهَوَانِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا الأَمِيْنِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ غَيُورٍ لَيَحْزَنُ عَلَى وَاقِعِ الأُمَّةِ اليَوْمَ؛ فَالْفِتَنُ مُتَلاحِقَةٌ كَأَنَّمَا تَنْصَبُّ مِنْ عُلُوٍّ كَتَرَاشُقِ المَطَرِ أَوْ كَتَنَاثُرِ عِقْدٍ انْفَرَطَ.

وَأَبْنَاءُ الأُمَّةِ إِلا القَلِيْلَ مِنْهُمْ فِي شُغْلٍ نَائِمُونَ، وَغَافِلُونَ، وَتَائِهُونَ.

فَالأُمَّةُ تَبْحَثُ عَنْ مَخْرَجٍ مِنْ ظُلُمَاتِ الْفِتَنِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَعَصَفَتْ بِهَا مِنْ كُلِّ حَدَبٍ. فَاسْتَضْعَفَهَا عَدُوُّهَا، وَاسْتَصْغَرَهَا خَصْمُهَا.

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ —صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ— سَبَبَ هَذَا البَلاءِ، وَعَيَّنَ حَقِيْقَةَ الدَّاءِ، فَقَالَ:

"يُوْشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيْرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ المَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ:

يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّةُ المَوْتِ".

(السِّلْسِّلَةُ الصَّحِيْحَةُ، رقم: ٩٥٨).

فَسَبَبُ الْهَوَانِ: (الْوَهْنُ) الَّذِي هُوَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ.

وَمَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الْهَوَى؛ لأَنَّهُ إِيْثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ.

وَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ:

نُوْنُ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوْقَةٌ ⁕ فَإِذَا هَوِيْتَ فَقَدْ لَقِيْتَ هَوَاناً

فَحُبُّ الدُّنْيَا مَذْمُوْمٌ عِنْدَ إِيْثَارِهَا وَتَقْدِيْمِهَا عَلَى الآخِرَةِ، وَإِلا "فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا لَيْسَ مَذْمُوْماً لِذَاتِهِ، وَإِنَّمَا لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ – عَادَةً– مِنَ الانْصِرَافِ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَالانْغِمَاسِ فِي الشَّهَوَاتِ"

قَالَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ – فِي:

(السِّلْسِلَةِ الضَّعِيْفَةِ: ١٢/٣٣٩).

قَال ابْنُ القَيِّمِ –رَحِمَهُ اللَّهُ-: "العَارِفُ لا يَأْمُرُ النَّاسَ بِتَرْكِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ عَلَى تَرْكِهَا، وَلَكِنْ يَأْمُرُهُمْ بِتَرْكِ الذُّنُوبِ مَعَ إِقَامَتِهِمْ عَلَى دُنْيَاهُمْ؛ فَتَرْكُ الدُّنْيَا فَضِيْلَةٌ، وَتَرْكُ الذُّنُوبِ فَرِيْضَةٌ" (الْفَوَائِدُ، ص: ١٦٩).

وَحَقِيْقَةُ ذَمِّ الدُّنْيَا يُسَلَّطُ عَلَى تَقْدِيمْ مَحَبَّةِ (الرِّئَاسَةِ، وَالمَالِ، وَالشَّهْوَةِ) عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللّهُ –تَعَالَى– وَيَرْضَاهُ مِمَّا شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ.

قَالَ اللّهُ –تَعَالَى-: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}.

[الأَعْلَى: ١٤–١٩].

فَبَيَّنَ –سُبْحَانَهُ– أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا المَذْمُومَ فِي إِيْثَارِهَا عَلَى الآخِرَةِ {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}.

فَالتَّعَلُّقُ بِالدُّنْيَا: يُوْرِثُ الطُّغْيَانَ، وَيَصْرِفُ عَنْ عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ، فَلا يَكُونُ مُؤْثِرَهَا مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، وَذَلِكَ لِمَا امْتَلأَ بِهِ قَلْبُهُ مِنَ الغَفْلَةِ وَالْهَوَى، كَمَا قَالَ –تَعَالَى–: {فَأَمّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}[النَّازِعَاتُ: ٣٧–٣٩].

وَقَدْ قَالَ –عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ–: "مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ؛ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى"(صَحِيْحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، رقم: ٣٢٤٧).

وَالعَاقِلُ العَارِفُ بِحَقِيْقَةِ الدُّنْيَا لا يُؤْثِرُهَا عَلَى الآخِرَةِ؛ لِعِلْمِهِ بِسُرْعَةِ زَوَالِهَا، وَفَنَائِهَا، كَمَا قَالَ –جَلَّ شَأْنُهُ–: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً}[الكَهْفُ: ٤٥].

قَالَ السِّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: "يَقُولُ -تعَالَى- لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْلاً، وَلِمَنْ قَامَ بِوُرَاثَتِهِ بَعْدَهُ تَبَعاً: اضْرِبْ لِلنَّاسِ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَتَصَوَّرُوهَا حَقَّ التَّصَوُّرِ، وَيَعْرِفُوا ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، فَيَقِيسُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّارِ البَاقِيَةِ، وَيُؤْثِرُوا أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالإِيْثَارِ.

وَأَنَّ مَثَلَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ المَطَرِ، يَنْزِلُ عَلَى الأَرْضِ، فَيَخْتَلِطُ نَبَاتُهَا، تُنْبِتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، فَبَيْنَا زَهْرَتُهَا وَزُخْرُفُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِيْنَ، وَتُفْرِحُ الْمُتَفَرِّجِينَ، وَتَأْخُذُ بِعُيُونِ الغَافِلِينَ، إِذْ أَصْبَحَتْ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، فَذَهَبَ ذَلِكَ النَبَاتُ النَّاضِرُ، وَالزَّهْرُ الزَّاهِرُ، وَالمَنْظَرُ البَهِيُّ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ غَبْرَاءَ تُرَاباً، قَدْ انْحَرَفَ عَنْهَا النَّظَرُ، وَصَدَفَ عَنْهَا البَصَرُ، وَأَوْحَشَتِ الْقَلْبَ، كَذَلِكَ هَذِهِ الدُّنْيَا، بَيْنَمَا صَاحِبُهَا قَدْ أُعْجِبَ بِشَبَابِهِ، وَفَاقَ فِيْهَا عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَتْرَابِهِ، وَحَصَّلَ دِرْهَمَهَا وَدِينَارَهَا، وَاقْتَطَفَ مِنْ لَذَّتِهِ أَزْهَارَهَا، وَخَاضَ فِي الشَّهَوَاتِ فِي

جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، وظَنَّ أَنَّهُ لا يَزَالُ فِيْهَا سَائِرَ أَيَّامِهِ، إِذْ أَصَابَهُ المَوْتُ أَوْ التَّلَفُ لِمَالِهِ، فَذَهَبَ عَنْهُ سُرُورُهُ، وَزَالَتْ لَذَّتُهُ وَحُبُورُهُ، وَاسْتَوْحَشَ قَلْبُهُ مِنَ الآلامِ وَفَارَقَ شَبَابَهُ وَقُوتَهُ وَمَالَهُ، وَانْفَرَدَ بِصَالِحِ، أَوْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِ، هُنَالِكَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ، حِيْنَ يَعْلَمُ حَقِيْقَةَ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَيَتَمَنَّى العَوْدَ إِلَى الدُّنْيَا، لا لِيَسْتَكْمِلَ الشَّهَوَاتِ، بَلْ لِيَسْتَدْرِكَ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنَ الغَفَلاتِ، بِالتَّوْبَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

فَالعَاقِلُ الجَازِمُ المُوَفَّقُ، يَعْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ هَذِهِ الحَالَةِ، وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: قَدِّرِي أَنَّكِ قَدْ مِتِّ، وَلا بُدَّ أَنَّ تَمُوتِي، فَأَيُّ: الحَالَتَيْنِ تَخْتَارِيْنَ؟ الاغْتِرَارُ بِزُخْرُفِ هَذِهِ الدَّارِ، وَالتَّمَتُّعِ بِهَا كَتَمَتُّعِ الأَنْعَامِ السَّارِحَةِ، أَمِ العَمَلِ، لِدَارٍ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، وَفِيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ الأَنْفَسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ؟ فَبِهَذَا يُعْرَفُ تَوْفِيقُ العَبْدِ مِنْ خِذْلانِهِ، وَرِبْحُهُ مِنْ خُسْرَانِهِ".

(تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: ٤٧٨).

وَقَدْ تَوَعَّدَ —سُبْحَانَهُ— أَعْظَمَ الوَعِيدِ لِمَنْ رَضِيَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ بِهَا، وَغَفَلَ عَنْ آيَاتِهِ، وَلَمْ يَرْجُ لِقَاءَهُ، فَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}.

[يُونِسُ: ٧ – ٨].

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ —رَحِمَهُ اللهُ—:

"الدُّنْيَا خَمْرُ الشَّيْطَانِ مَنْ سَكِرَ مِنْهَا لَمْ يُفِقْ إِلا فِي عَسْكَرِ المَوْتَى نَادِماً بَيْنَ الخَاسِرِيْنَ".

تَحْذِيرُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ مِنَ الاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا

اعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الشِّبَعِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْجُوعِ غَداً فِي الآخِرَةِ".

(صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، برقم: ٢١٣٨).

وَحَذَّرَ مِنْهَا، فَقَالَ: "احْذَرُوا الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ".

(صَحِيحُ الجَامِعِ، برقم: ١٩٢).

وَبَيَّنَ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- حَقِيْقَةَ أَمْرِهَا وَتَفَاهَتِهَا وَخِسَّتِهَا، فَقَالَ: "إِنَّ اللّهَ -تَعَالَى- جَعَلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا قَلْيَلاً وَمَا بَقِيَ مِنْهَا إِلا الْقَلِيْلُ، كَالثَّغَبِ شُرِبَ صَفْوُهُ وَبَقِيَ كَدَرُهُ"

(صَحِيحُ الجَامِعِ، رقم: ١٧٣٧).

قَالَ الْمُنَاوِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي مَعْنَى الثَّغَبِ،-:

"الْغَدِيرُ الَّذِي قَلَّ مَاؤُهُ.

(شُرِبَ صَفْوُهُ وَبَقِيَ كَدَرُهُ) يَعْنِي: أَنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ حَوْضٍ كَبِيرٍ مُلِئَ مَاءً، وَجُعِلَ مَوْرِدَاً لِلأَنَامِ وَالأَنْعَامِ.

فَجَعَلَ الْحَوْضُ يَنْقُصُ عَلَى كَثْرَةِ الْوَارِدِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلا وَشَلٌ كَدِرٌ فِي أَسْفَلِهِ.

بَالَتْ فِيْهِ الدَّوَابُ وَخَاضَتْ فِيْهِ الأَنْعَامُ.

فَالعَاقِلُ لا يَطْمَئِنُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلا يَغْتَرُّ بِهَا بَعْدَ مَا اتَّضَحَ لَهُ أَنَّهَا زَائِلَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ، وَأَنَّهُ قَدْ مَضَى أَحْسَنُهَا، وَأَنَّهَا وَإِنْ سَاعَدَتْ مُدَّةً فَالْمَوْتُ لا مَحَالَةَ يُدْرِكُ صَاحِبَهَا وَيَخْتَرِمَهُ".

(فَيْضُ الْقَدِيرِ: ٢/٢٧٩).

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ حَقِيْقَةَ الدُّنْيَا فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ –عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ–: "إِنَّ اللّهَ –تَعالَى– لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ" (صَحِيحُ الجَامِعِ، رقم : ١٨١٤).

وَاعْلَمْ: أَنَّ الخَيْرَ فِي طَاعَةِ اللّهِ، فَفِيْهَا العِزُّ وَالتَّمْكِينُ وَالنَّصْرُ وَالرِّزْقُ، وَمَنْ أَشْتَغَلَ بِطَاعَةِ اللّهِ فَقَدْ تَكَفَّلَ اللّهُ بِرِزْقِهِ.

"مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنِيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ" (صَحِيحُ الجَامِعِ، رقم : ٦٥١٠) .

وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إِلاَّ مَرَاحِلُ *** يَحُثُّ بِهَا حَادٍ مِنَ المَوْتِ قَاصِدُ

وأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا *** مَنَازِلُ تُطْوَى وَالمُسَافِرُ قَاعِدُ

شَيَاطِينُ الخَرَابِ وَالمُؤَامَرَةُ

الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا الأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ قَالَ اللّهُ –تَعَالَى–: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}[الفرقان: ٢٧]. إِنَّهُ يَوْمُ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، عَلَى الغَفْلَةِ وَالبَّطَالَةِ، بِتَضْيِيعِ الأَوْقَاتِ، وَالانْشِغَالِ بِالْمُنْكَرَاتِ، إِذْ سَاءَتِ الأَعْمَالُ، لِكَثْرَتِ التَّسْوِيفِ وَطُولِ الآمَالِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ –رَحِمَهُ اللّهُ–: "الدُّنْيَا خَمْرُ الشَّيْطَانِ مَنْ سَكِرَ مِنْهَا لَمْ يُفِقْ إِلا فِي عَسْكَرِ الْمَوْتَى نَادِمَاً مَعَ الخَاسِرِينَ".

وَمِنْ صُوَرِ هَذَا السُّكْرِ الفَاحِشِ الدَّالِّ عَلَى دَنَاءَةِ فَاعِلِهِ: (أَكْلُ المَالِ الحَرَامِ) مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، فَكَمْ سَمِعْنَا بِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ

الرِّشْوَةَ، بَلْ وَيَبْتَزُّونَ أَمْوالَ النَّاسِ، وَيَأْكُلُونَهَا بِالبَاطِلِ، فَقَدْ كَانَتْ مُسَوِّغَاتُ فِعْلَتِهِم الشَّنِيعَةِ فِي الزَّمَنِ الغَابِرِ أَنَّ الرَّاتِبَ لا يَكْفِي —وَلَيْسَ هَذَا لَهُمْ بِعُذْرٍ– فَمَا بَالُهُمْ اليَوْمَ مَعَ زِيَادَةِ رَوَاتِبِهِمْ لا يَزَالُونَ فِي سُكْرِ أَكْلِ الْمَالِ الحَرَامِ.

أَفِقْ مِنْ سُبَاتِكَ –أَيُّهَا الْمِسْكِينُ–، فَسَاعَةُ الرَّحِيلِ لا رَيْبَ آتِيَةٌ، وَلْتَعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ —صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ"، ثُمَّ قَرَأَ: {وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}[هود: ١٠٢] (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

وَيُذْكَرُ أَنَّهُ قِيلَ لِعَلِيٍّ —رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: مَا تَقُولُ فِي الحَلالِ؟ قَالَ: هُوَ تَالِفٌ. قَالُوا: فَمَا تَقُولُ فِي الحَرَامِ؟ قَالَ: تَالِفٌ هُوَ وَأَهْلُهُ.

فَلَعَلَّكَ سَمِعْتَ بِأُولَئِكَ الَّذِينَ ذَهَبُوا يَسْرِقُونَ مِنْ بِنَايَاتِ وَمُنْشَئَاتِ الدَّوْلَةِ العَامَّةِ، هَلْ بَقِيَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِمَّا سَرَقُوهُ؟!!!

بَلْ أَقُولُ: كَمْ سَمِعْنَا عَنْهُمْ وَقَدْ أُصِيبُوا (بِعَاجِلِ) عُقُوبَةِ اللّهِ، فَبَعْضُهُمْ قُطِعَتْ بَعْضُ أَطْرَافِهِ بِالقَنَابِلِ المُتَفَجِّرَةِ، وَبَعْضُهُمْ ذَهَبَ بِرَصَاصَاتِ الطَّمَعِ فِي صِرَاعِ الجَشَعِ مَعَ الكِلابِ اللاهِثَةِ خَلْفَ جِيفَةِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ.

وَإِنْ جِئْتَ إِلَى (التَّعْلِيمِ) وَجَدْتَ الغِشَّ وَالرِّشْوَةَ. فَلِمَاذَا هَذِهِ الحَالُ أَيُّهَا (الْمُرَبِّي)!!!

وَإِنْ جِئْتَ إِلَى (الْمُسْتَشْفَيَاتِ) فَالأَدْوِيَةُ مُنْتَهَبَةٌ بَيْنَ سَمَاسِرَةِ العِيَادَاتِ مِنْ: (مُمَرِّضِينَ، وَصَيَادِلَةَ، وَأَطِبَّاءَ). أَتَدَنَّى الحَالُ بِكُمْ إِلَى أَنْ تُصَافُّوا قُطَّاعَ الطَّرِيقِ، بَلْ لَعَلَ قُطَاعَ الطَّرِيقِ أَقَلُّ شَنَاعَةً مِنْكُمْ، لأَنَّهُمْ يَرْصُدُونَ الأَغْنِيَاءَ. أَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ سَالَ لُعَابُكُمْ عَلَى أَدْوِيَةِ (الْمَسَاكِينِ، وَالفُقَرَاءَ)، فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى.

وَمَاذَا نَقُولُ عَنْ دَوَائِرِ وَمُنْشَئَاتِ الدَّوْلَةِ الأُخْرَى، فَالحَالُ مُتَشَابِهَةٌ مِنْ وُجُودِ بَعْضِ (مُحْتَرِفِي القَرْصَنَةِ)، فَبِضَغْطَةِ قَلَمٍ يَضَعُ صِفْرًا بَعْدَ أَلِفٍ لِيُصْبِحَ عَشَرَةَ آلافٍ، فَيَأْخُذُ تِسْعَةً مِنْهَا إِثْمًا

وَعُدْوَاناً، فَتَعْسَاً لَكِ مِنْ (نُفُوسٍ ضَعِيفَةٍ)، (وَأَرْوَاحٍ بَلِيدَةٍ) سَاوَتْ فِي هِمَّتِهَا الْبَهَائِمَ السَّائِبَةَ.

فَيَا عِبَادَ اللهِ مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ مِنْ أَمْرِ الأُمَّةِ شَيْئاً —قَضَاءً، أَوْ تَطْبِيباً، أَوْ تَعْلِيماً وَتَدْرِيساً، وَنَحْوَ ذَلِكَ— وَهُوَ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَقَدْ خَانَ الأَمَانَةَ، فَإِنَّ الوَظَائِفَ اسْتِحْقَاقٌ لِلْكُفْءِ الْمُؤَهَّلِ لَهَا، فَمَنْ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيٍّ مِنْهَا (بِطَرِيقَةٍ مُلْتَوِيَةٍ)، أَوْ (غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ)؛ فَإِنَّهَا عَلَيْهِ خِزْيٌ وَعَارٌ، وَلَنْ تُغَيِّرَ عِنْدَ النَّاظِرِينَ مِنْ حَقِيقَتِهِ شَيْئاً، إِلا كَمَا قِيلَ:

فَلَوَ لَبِسَ الحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍ *** لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ

وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ —رَضِيَ اللهُ عَنْهُ— أَنَّ النَّبِيَّ —صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ— قَالَ: "لَيُوشِكَنَّ رَجُلٌ أَنْ يَتَمَنَّى أَنَّهُ خَرَّ مِنَ الثُّرَيَّا وَلَمْ يَلِ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً".

(صَحِيحُ الجَامِعِ، رقم الحديث: ٥٤٨٦).

وَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى شَرِيحَةٍ أُخْرَى مِنَ الْمُجْتَمَعِ فَالحَالُ حَالُ مَنْ لا يُحْسَدُ: مِنْ ظُهُورِ الزِّنَا، وَانْتِشَارِ الرِّبَا، وَالانْهِمَاكِ فِي الخَمْرِ وَالمَعَازِفِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : "سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ، وَقَذْفٌ، وَمَسْخٌ، إِذَا ظَهَرَتِ المَعَازِفُ، وَالقَيِّنَاتُ، وَاسْتُحِلَّتِ الخَمْرُ". [(صَحِيحٌ) مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ–، صَحِيحُ الجَامِعِ برقم: ٣٦٦٥].

(فَالزِّنَا) قَدْ ظَهَرَ وَانْتَشَرَ، (وَالرِّبَا) كَذَلِكَ، وَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللّهِ".[(صَحِيحٌ) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَاسٍ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا–، صَحِيحُ الجَامِعِ برقم: ٦٧٩].

(وَشُرِبَ الخَمْرُ) وَنَسِيَ هَؤُلاءِ أَنَّ الخَمْرَ مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَنْ أَقْتَرَبَ مِنْهَا، فَصَانِعُ الخَمْرِ مَلْعُونٌ، وَبَائِعُ الخَمْرِ مَلْعُونٌ، وَالَّذِي يُوَافِقُ عَلَى افْتِتَاحِ خَمَارَةٍ مَلْعُونٌ، وَالَّذِي يَحْمِلُ الخَمْرَ إِلَى غَيْرِهِ مَلْعُونٌ، وَالَّذِي يَجْمَعُ زُجَاجَاتِ الخَمْرِ الفَارِغَةَ لِيَبِيعَهَا لِمَصْنَعِ الخَمْرِ مَلْعُونٌ، وَالَّذِي يَصْنَعُ صَنَادِيقَ الخَمْرِ مَلْعُونٌ، وَالسَّائِقُ

الَّذِي يَعْمَلُ بِسَيَّارَةٍ يَحْمِلُ فِيْهَا الخَمْرَ مَلْعُونٌ، فَكُلُّ مَنْ اقْتَرَبَ مِنَ الخَمْرِ مَلْعُونٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ النَّاسَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَلا يُبَالُونَ؛ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ.

وَنُحَذِّرُ هَؤُلاءِ جَمِيعًا مِنْ (خَاتِمَةِ السُّوءِ)، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : "لَيَبِيتَنَّ أَقْوَامٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلَهْوٍ، فَيُصْبِحُونَ قَدْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ" (سِلْسِلَةُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: برقم: ١٦٠٤).

وَإِنْ تَغَافَلَ هَؤُلاءِ، فَإِنَّنَا نُخَاطِبُ الغَيْرَةَ –إِنْ كَانَتْ لَهَا بَقِيَّةٌ فِي قُلُوبِهِمْ– إِذْ كَيْفَ يَقْبَلُ هَؤُلاءِ الذُّلَّ الَّذِي أَصَابَنَا حَتَّى أَصْبَحَتْ فَاجِعَتُنَا تُبْكِي النِّسَاءَ وَالصِّغَارَ، قَالَ –تَعَالَى–: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشُّورَى: ٣٠].

شَعْبٌ يُهَانُ، وَبَلَدٌ يُسْتَبَاحُ، وَإِرَادَةٌ تُكْسَرُ.

قُلْ: {فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}. فَيَا شَارِبَ الخَمْرِ، وَيَا آكِلَ الرِّبَا، وَيَا سَامِعَ الغِنَاءَ، وَيَا مُقْتَرِفَ المَعْصِيَةِ لا تَطْعَنْ (بِخِنْجَرِ مَعْصِيَتِكَ) جَسَدَ الأُمَّةِ، إِنَّهَا مُؤَامَرَةٌ فَلا تَكُنْ مِنَ المُشَارِكِينَ فِيْهَا، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الغَرْبِيين: "كَأْسٌ وَغَانِيَةٌ تَفْعَلانِ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ مَا لا يَفْعَلُهُ أَلْفُ مِدْفَعٍ".

فَمُرَوِّجُوا المُجُونَ هُمْ أُلْعُوبَةُ المُحْتَلِ فِي تَنْفِيذِ مُخَطَّطَاتِهِ:

مُؤَامَرَةٌ مَرَامِيهَا عِظَامٌ * تُدَبِّرُهَا شَيَاطِينُ الخَرَابِ**